الامـــر بالعـــدل والاحـــسـان

فضيلة الشيخ محمد حدو أمزيان
عميد كلية أصول الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاءذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون، وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون.

تمهيد

آيتان عظيمتان من سورة النحل من أحسن ما يتلى فى القرآن، نظرا لا هميتهما وجلالهما أردنا أن نتناول تفسيرهما فى هذا العدد من مجلة الاحياء الغراء.

وسورة النحل من السور المكية تمتاز بأسلوب خاص هادىء ومتنوع تناولت كثيرا من المواضع التى تتصل بالدعوة الاسلامية وآخر ما جاء فيها قبل هاتين الآيتين مباشرة فى وصف القرآن قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ثم عقب عليها بما يدل على المعنى نفسه فجاء بآية هى من أبلغ وأجمع وأبعد ما فى القرآن العظيم حيث جمعت فى كلمات قليلة شريعة السلوك كلها، عن أبى مسعود (ض) قال : أعظم آية فى كتاب الله تعالى : (الله لااله الا هو الحى

القيوم) وأجمع آية في كتاب الله للخير والشر الآية التي في النحل (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى) الحديث، وعن عكرمة أن النبي (ص) قرأ على الوليد بن المغيرة هذه الآية فقال له يابن أخي أعد على فأعادها عليه النبي (ص) فقال له الوليد والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر.

وروى الحافظ أبو يعلى : بلغ اكثم بن صيفي مخرج النبي (ص) فأراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه وقالوا : أنت كبيرنا لم تكن لتخف اليه قال فلياته من يبلغه ويبلغني عنه فانتدب رجلان فأتيا النبي (ص) فقالا : نحن رسل أكثم بن صيفي وهو يسألك من أنت وما أنت ؟ فقال النبي (ص) أما من انا فأنا محمد بن عبد الله، وأما ما أنا فأنا عبد الله ورسوله، قال ثم تلا عليهم (ان الله يامر بالعدل والاحسان) الآية قالوا ردد علينا القول فردده عليهم حتى حفظوه فأتيا اكثم فقالا أبى أن يرفع نسبه فوجدناه زاكي النسب وسطا في مضر وقد رمى الينا بكلمات قد سمعناها فلما سمعهن أكثم قال : «انى أراه يامر بمكارم الاخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا في هذا الامر رؤوسا ولا تكونوا فيه اذ نابا وكونوا فيه أولا ولا تكونوا فيه آخرا».

من هذه المقدمة يتضح أن هذه الآية قد جمعت معاني الدعوة الاسلامية من جوامع الكلم ومن الآيات المعجزة

فى القرآن الكريم فندخل فى تفسير الموضوع بادئين بتفسير المفردات :

معنى المفردات :

العدل لغة المساواة فى كل شىء بلا زيادة ولا نقصان، والمراد به هنا المكافأة فى الخير والشر، والاحسان مقابلة الخير بأكثر منه والشر بالعفو عنه، وايتاء ذى القربى أى اعطاء الاقارب حقهم من الصلة والبر، والفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه جميع الافعال والاقوال المذمومة، والمنكر ما تنكره العقول من دواعى القوة الغضبية التى تؤذى الناس، والبغى الاستعلاء على الناس والتجبر بالمظلم والعدوان، يعظكم الوعظ : هو التنبيه الى الخير بالنصح والارشاد، أوفوا بعهد الله، العهد : كل ما يلتزمه الانسان باختيار ويدخل فيه الوعد، ولا تنقضوا الايمان : نقض اليمين : الحنث فيها وأصله فك اجزاء الجسم بعضها من بعض.

توكيدها : توثيقها والتشديد فيها، كفيلا : أى شاهدا ورقيبا.

تفسير الاية :

ان القرآن كتاب الله جاء به محمد (ص) لينشىء أمة وينظم مجتمعا ويقيم نظاما للانسانية صالحا لكل الازمان والآفاق، جاء بالمبادى التى تكفل تماسك الجماعات واطمئنان الافراد والامم كما تكفل الثقة بالوعود والعهود، وأولى هذه المبادىء العدل الذى هو أساس العمران لانه يكفل لكل فرد ولكل جماعة قاعدة ثابتة للتعامل لا تتبدل وتتأثر بالعوامل الخارجية من هوى وبغض وقرابة ونسب وغنى وفقر وقوة

وضعف، فهو ميزان ثابت واحد بالنسبة للجميع.

وثانى هذه المبادىء الاحسان وهو بجوار العدل يلطف من حدته وصرامته ويترك الباب مفتوحا لمن أراد أن يتسامح فى بعض حقه ايثارا للغير وكسبا لغل الصدور ومداواة لجر وكسبا للفضل بين الناس، والاحسان أوسع مدلولا فكل عمل طيب احسان فيشمل كل عمل وكل تعامل فى محيط الحياة كلها فى علاقة الانسان بربه وبأسرته وبأفراد جماعته وبباقى بنى الانسان.

ومن الاحسان ايتاء ذى القربى أبرز هنا بالخصوص تعظيما لشأنه وتوكيدا عليه وهذا تحقيق لمبدأ التكافل بين أفراد المجتمع الاسلامى الذى يتدرج فيه الاسلام من المحيط العائلى الصغير الى المحيط العام الكبير.

وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى : هذه العناصر الثلاثة لا يمكن أن يقوم عليها مجتمع ثم يدوم ومهما بلغت قوة الدولة التى تقوم على هذه العناصر فلابد فى يوم ما أن تزول وتاريخ البشرية كله انتفاضات ضد الفحشاء والمنكر والبغى وذلك دليل على أنها عناصر غريبة عن جسم المجتمع السليم فهو ينتفض لطردها كما ينتفض الجسم الحي ضد أي كائن غريب يدخل اليه، وهذا أمر تعرفه الفطرة الانسانية وتعيه ولذلك فهى ليست فى حاجة الا الى العظة والتذكير ولذلك ختم الله الآية بقوله يعظكم لعلكم تذكرون.

ثم خص الله تعالى فى الآية الثانية نقطة مهمة ومسألة اساسية فى حياة

المجتمع وهى مسألة العهد فأوصى الله بالوفاء بالعهود لانها قاعدة أساسية للتعامل بين الافراد والجماعات حيث قال : «وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم» والمقصود الاول بذلك هو الوفاء بالعهد بين المسلمين والرسول (ص) بمقتضى البيعة التى عقدوها له قبل الهجرة ويدخل فى ذلك كل عهد على معروف بين الناس فالوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء الثقة بين الناس فى معاملاتهم وبدون هذه الثقة لايقوم مجتمع ولا تقوم حياة مستقرة.

والخلاصة

إن الله سبحانه ذكر فى هاتين الآيتين بالمبادىء العامة للحياة وهى العدل والاحسان وايتاءذى القربى، ونهى عن المبادىء الاساسية للفساد والشر فى المجتمع وهى الفحشاء والمنكر والبغى وبعد أن أمر بهذه الثلاث ونهى عن الثلاث الاخرى خص بالذكر واحدة من المأمورات وهى الوفاء بالعهد والعهد يجب الوفاء به لمن عاهده الانسان سواء كان مسلما أو كافرا لان العهد لله تعالى

وبعد أن أنهى الكلام على هذه الاوامر الاساسية فى الحياة اعقب ذلك بما يفيد الوعد والوعيد والتهديد بقوله سبحانه : «ان الله يعلم ما تفعلون»، أي فى العهود التى تعاهدون على الوفاء بها والايمان التى تؤكدون بها على أنفسكم أتبرون فيها أم تنقضونها وان الله سبحانه محص ذلك عليكم وسائلكم عنه يوم الحساب

أخرج ابن جرير أن الآية نزلت فى بيعة النبى (ص) كان من أسلم يبايع على الاسلام فقال تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فلا تحملنكم قلة محمد وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التى بايعتم على الاسلام وان كان فى المسلمين قلة وفى المشركين كثرة فى بادىء الامر.

تصحيح آيات

وقع فى العدد السابق المجلد الثالث الجزء الاول من مجلة «الاحياء» اسقاط جملة من آية فى الصفحة 83 سطر 37 وهى قوله تعالى (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره) والاية كلها كما يلى :

«الله الذى خلق السماوات والارض وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار» الاية

وفى الصفحة 125 السطر 11 قوله تعالى وذكر ان نفعت الذكرى والصحيح فذكر ان نفعت الذكرى وفي الصفحة 38 السطر 8 قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا من بعد ما جاءتهم البينات

والصحيح ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينت» فمعذرة